فلاح مصر

لحضرة صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمى باشا

عميد كلية الطب

اطرد التقدم فى مصر وانتشر التعليم ، كما انتشرت المهن العلمية الحرة وتقدمت الصناعة والتجارة وغيرهما ، فأصبح الرقى عاما يشمل كل مرافق الحياة .

على أن الزراعة لا تزال المصدر الرئيسى لثروة البلاد ولا يزال الفلاح عمادها وقوامها ، فهو بحق المجاهد العظيم فى سبيل مجد الوطن وازدياد ثروته .

وليس من شك فى أن الثروة لا تزيد إلا بكثرة الانتاج ، وأن الانتاج لا يكثر إلا بقوة المنتجين المالية والعلمية والفنية وقدرة الفلاحين على تحمل مشاق العمل ولا يكون ذلك إلا اذا صحت أبدانهم ، وبرئت من الأمراض المنهكة للقوى .

هذى مبادئ يعترف بها كل من ألم بمهنة الطب وعنى بحالة الفلاح الصحية ولذلك يجب على الأطباء تنبيه الأذهان الى هذه الناحية الخطيرة . لأن الفلاح بحالته الصحية الراهنة لا يستطيع أن يؤدى أكثر من ٦٠٪ مما ينبغى أن يؤديه من العمل .

ولقد أمضيت بضعة أيام فى مزرعتى فهالنى ضعف الفلاح وسرعة شعوره بالتعب وما لذلك من التأثير فى فهمه ، فقمت ببحث حالة نحو ٥٠ فلاحا ممن قابلتهم فى الحقل وفحصت دمهم فوجدت أن كمية الهيموجلوبين لا تزيد عند أكثر من ٨٠٪ منهم على ٦٠٪ وأنها فى الغالب ٥٠٪ .

وهؤلاء هم الذين يستطيعون العمل ، على ما بهم من ضعف وأعياء فما بالك بمن أقعده الضعف عن العمل ؟

ولا يخفى أن معظم أسباب فقر الدم بينهم ناشىء من إصابتهم بديدان الانكلستوما ، لأن البلهارسيا وان كانت تحدث مثل هذا الأثر ، فهى نادرة فى هذه المنطقة . ولذلك تجب مقاومة هذا المرض والعمل بأنجح الوسائل على علاج أكبر عدد يستطاع علاجه من المصابين .

ان الفلاح الذى تعودنا رؤيته فى صغرنا ليس هو فلاح اليوم . فالأول كان ممتلئا صحة وقوة ، قادرا على العمل . قامت على عاتقه جميع المشروعات الكبرى ، أما فلاح اليوم ، فهو معتل الصحة ضعيف البنية ، ليس له ما لسلفه من القدرة على العمل .

على أنه لا حاجه بنا الى الماضى ، فحسبنا أن نقارن الآن فى أى مزرعة أو قرية ، بين الفلاح الأجير الذى لا يملك ماشية ، وليس عنده زراعة يزرعها و بين من يملك أرضا أو يستأجرها ، لنجد الفرق ظاهرا جليا . ولقد قمت بتجربة فى مزرعتى فتبينت صحة النظرية التى ذكرتها . وذلك أننى ساعدت الفلاحين على اقتناء المواشى وزراعة الأرض بأنفسهم ، فبدت عليهم علامات الصحة والعافية والنشاط .

وهناك عامل ثالث له أثر شديد فى حالة الفلاح ، وأعنى به الشاى الذى سماه بعض المفكرين « السم الأسود » لما نسب إليه من المضار المتعددة وإنى مع اتفاق معهم فى النتيجة ، اختلف فى الأسباب ، فالشاى ليس سما ، وهو اذا شرب فى اعتدال . لاضرر منه على الصحة إلا عند من فى أجسامهم استعداد خاص للتأثر به ، أو الذين يفرطون فى شربه فيتناولونه بكميات غير معقولة . واما ضرره على الفلاح ، فهو ليس ضررا مباشرا ، ولكنه راجع إلى أن الفلاح مع سوء حالته المالية ، ينفق نقوده فى شرب الشاى — وهو يكاد يكون خاليا من المواد الغذائية — بدل أن ينفقها فى مواد غذائية أخرى تعود عليه بالفائدة .

والشاى « كيف » يتعوده من يشربه مدة طويلة فاذا تأخر عنه بدت عليه أعراض تزول بشربه ، ولذلك اذا تعوده الشخص ادمن على شربه مرغما .

وقد شاهدت ظاهرة خطرة ، وهى إنى رأيت عددا من الزراع يأكلون وقت الظهر فى شهر رمضان . ولغرابة هذا المنظر فى الريف ، سألتهم فى ذلك فعلمت أنهم مفطرون ، لا لعدم مقدرتهم على تحمل الجوع — حسب تعبيرهم — بل لأنهم لايستطيعون الانتظار الى الغروب بدون شرب الشاى مع قيامهم بالعمل وهكذا قضى عليهم « كيف » الشاى بالاستخفاف بأحكام دينهم .

ومن الأمثلة على أن الشاى ليس سما ، كما زعموا ، أن أهل سيوة يشربونه بكثرة ، ولكنهم يأكلون معه التمر والفول السودانى كما أنهم يأكلون اللحم مرتين فى الأسبوع على الأقل . ولهذا فان ضرر الشاى عندهم أقل منه عند الفلاحين وفى وسعى أن أقول انى لم ألاحظ حالة واحدة من حالات مرض البلاجرا فى سيوة .

قلت إن الفلاح مجاهدنا العظيم لأنه يكد ويشقى فى زراعة الأرض ويجاهد فى مقاومة الآفات الزراعية أكبر جهاد ، وأنه عماد الثروة فى البلاد . وقد تبين مما تقدم أنه فى خطر صحى لا يصح السكوت عليه ، فان لم نتداركه باقامة المستشفيات ذات الأقسام الداخليه يفقر الدم « الأنيميا » وغيرها من الأمراض المتوطنة — كما ذكرت فى تقريرى سنة ٩٣٨ ازدادت الحالة سوءا .

ان وزارة الشؤون الاجتماعية آخذة فى اصلاح حالة الفلاح وقد وضعت لذلك طائفة من المشروعات فلعل ما أبديته فى هذه الكلمة من الملاحظات تعين ذوى الشأن على استجلاء بعض مايبحثونه من المسائل .

وهذه وزارة المالية تفكر فى تخصيص أموال متوافرة ، لمشروعات تنفذ بعد الحرب وأرى ان ما عرضته هنا يتصل اتصالا وثيقا بنجاح هذه المشروعات فيما يختص باستغلال الأموال وزيادة الثروة الزراعية ، فان تحسن صحة الفلاح يزيد مقدرته على العمل ويكثر انتاج الزراعى .

والا فما فائدة زيادة مساحة الأراضى الزراعية ، اذ كانت لا تزرع أو لاتتقن زراعتها ، لقلة الأيدى العاملة ؟ ان قوة الشعوب لاتقاس بعدد السكان بل بعدد القادرين منهم على العمل والإنتاج .

هذه خواطر جاشت فى صدرى ، بعد مشاهدات طويلة وتجربة بنيتها على معرفتى علم الطب ، لعلى أوفق لاستنهاض الهمم لاصلاح هذه الحالة التى تهدد كيان الفلاح .

دكتور

سليمان غزمى